

الأسلوبية النفسية.

وتسمى أيضا الأسلوبية الفردية، وتعنى بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي، مع مراعاة مكونات الحدث الأدبي الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان والكلام والفن، وهذا الاتجاه الأسلوبي تجاوز البحث في أوجه التراكيب ووظيفتها في نظام اللغة إلى الأسباب المتعلقة بالخطاب الأدبي⁽¹⁾، وذلك يعود إلى اعتقاد أصحاب هذا الاتجاه بداتية الأسلوب وفرديته، لذلك فهو يدرس العلاقة بين وسائل التعبير والفرد دون أن يغفل علاقة هذه الوسائل بالجماعة التي تستعمل هذه اللغة.

وقد مهّد لهذا الاتجاه الأسلوبية التعبيرية والدراسات اللغوية التي راعت التطور التاريخي للغة في القرن 19، وكذلك أعمال "كروتشيه" ذات النزوع المثالي، والذي يرى أنّ اللغة تعبير في أصلها، وهي غير منفصلة عن شعور وإرادة الفرد، وأنّ الاستعمال اللغوي كلّ تعبير جمالي، وقد تأثر "كارل فوسلير" بهذه المقولة، فاللغة عنده تعبير جمالي وحقيقة فنية، وكلّ تعبير ينبغي أن يشرح على أنه إبداع فردي حرّ من الشخص الذي ينطق به، لكنه يختلف عن "كروتشيه" من حيث أنّ الأسلوب ليس فرديا محضاً، بل ثمة عوامل جمّة تتدخل في ذلك⁽²⁾، فهو يتجاوز الأسلوب إلى الثقافة والتاريخ والتواصل الاجتماعي والفني، فهناك دواعي متعدّدة قبل الكتابة.

ويعدّ "ليو سبيتزر" أهم مؤسس للأسلوبية النفسية، وإليه تشير أغلب الدراسات التي حاولت رصد تاريخ الأسلوبية واتجاهاتها⁽³⁾، ويختلف "سبيتزر" عن أستاذه "فوسلير" من حيث أنه لا يدرس اللغة بشكل عام، إنما يركّز على النص الأدبي، فتوصل إلى أنّ الأسلوب هو الأدب، وعند دراسته للنص الأدبي يتتبع الانحرافات اللغوية، ويقف عند الاستعمالات غير المألوفة، ويحاول أن يؤكّد صحتها من خلال ترددها، ويحاول كذلك التعرّف على

¹ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج.1، ص. 70

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - حمادي صمود، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، ص. 102

مركز النص، ظناً منه أنّ النص هو المؤلف، وهو لا يقف عند روح المؤلف، بل يتجاوزها إلى عقيدة وثقافة الأمة وتاريخها، فالنص ليس هدفاً في ذاته، فهو يحاول دراسته من أجل البحث عن القيم العاطفية التي يتضمنها، والمعبرة عن حالة العصر وحالة الأديب، ففي النص ذاته . حسب رأيه . دلالات عاطفية صريحة ومشاعر وأهواء لا يمكن الإفصاح عنها إلاّ عن طريق تحليل أسلوب النص، فهذه الأسلوبية هي تحليل للنص للوصول إلى معرفة الكاتب.

واهتم "سبيتر" بعملية التوليد اللفظي Néologisme عند الكاتب الفرنسي "رابليه Rabelais"، حيث رصد المفردات الجديدة التي وضعها هذا الكاتب، وكان يدعو إلى الاستعانة بعلم الدلالة التاريخي في دراسة الأسلوب⁽⁴⁾، لأنه يتيح للباحث فهم شخصية الكاتب، والتعمق في الكلمات التي يستعملها كاتب ما في حقبة تاريخية معينة، وهذه الكلمات يمكن أن تصبح موضوعاً للدرس والتحليل قائماً بذاته، فالكلمة تحمل في عمقها شخصية الكاتب، وبالتالي حضارته وثقافته، فالأسلوب الفردي يتفرع من ماهية جماعية تعدّ بدورها قائمة من الأشكال والأسالي

ويرى "سبيتر" أنّ التاريخ متضمّن في كلّ إنتاج أدبي، لذلك استعانت كلّ دراساته للأسلوب بعلم الدلالة التاريخي⁽⁵⁾، فهو يتبع التطور التاريخي للكلمة ليستقي منها معلومات تنير ما هو مظلم في النص، لأنّ الكلمة عنده في السياق الأدبي قد تأخذ دلالة معينة في النص، وقد تتعدّد دلالاتها بحسب السياق والقدرة التأويلية للمتلقي، ولما كانت الكلمة تتطور وتتغيّر تبعاً للأجيال والصراعات والحاجات، كان "سبيتر" يركّز في دراسة الأسلوب على التحولات التي تحدث للكلمات، وذلك من أجل تحديد المفاهيم والميول في حقبة زمنية معينة، ويلجّ على الجانب النفسي للكلمة والسياق مراعيًا المقام الذي قيلت فيه.

تطمح أسلوبية "سبيتر" إلى البحث عن الحقائق النفسية في الخطاب الأدبي، إلى جانب إظهار الضمير الجمعي فيه، باعتبار أنّ الخطاب الأدبي نتاج فردي يعبر عن شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، يقول

⁴ نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج.1، ص. 72

⁵ عبد الحفيظ حسن، المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي ص. 21

"سبيتر": "في قراءتي للروايات الفرنسية المعاصرة اعتمدت أن أشدّد على العبارات التي تبتعد بنظري عن العرف العام وفي أغلب الأحيان كانت هذه المقاطع الملفتة للنظر تقدّم وجه شبه فيما بينها، وعندها كنت أتساءل فيما كان ممكناً أن نقيم قاسماً مشتركاً بين هذه الانزياحات عن الاستعمال اللغوي العام، أو على الأقل بين العدد الأكبر منها"، ثم يتساءل فيقول: "أليس بالإمكان إيجاد أصل الاشتقاق الروحي المشترك أو حتى الجذور النفسية لهذه الانزياحات اللغوية تماماً كما يجد اللساني جذراً اشتقاقياً وراء فصيلة من الكلمات؟"⁽⁶⁾.

نستنتج من خلال هذه المقولة وجهة نظر "سبيتر" للأسلوبية، إذ يوطّرها في⁽⁷⁾:

. اكتشاف الانزياح الأسلوبي.

. تقدير هذا الانزياح ووصف معناه التعبيري.

. التوفيق بين هذا الاكتشاف وبين أسلوب العمل العام.

. تحديد السمات المميّزة الخاصة بعبقريّة الكاتب الخلاقة بشكل أوسع، وتحديد ميول العصر.

ويرى "سبيتر" أنّ الفرد في صراع مع الوسط الذي ينتمي إليه، وبالتالي فإنه يحاول تبديل العالم بطريقته الذاتية في الإبداع، فالأسلوبية النفسية تقوم عنده على مخالفة تاريخ الأدب الوضعي من جهة وتاريخ الأفكار من جهة أخرى، ويمكن أن تحتزل . في نظره . العناصر الأسلوبية المثيرة والانزياحات في النص إلى قاسم مشترك يدلّنا على رؤية مؤلفه للعالم، فبعد أن ترصد هذه التفاصيل في مستوى المظهر السطحي للعمل الأدبي تجمع وتدمج في مبدأ خلاق، وهكذا يتمّ الانتقال من اللغة والأسلوب إلى الروح، وما يسمح بالوصول إلى السمات الأسلوبية هو الحدس، ويجب أن يكون هناك تعاطف مع النص حتى يتمكن من الدخول في أغواره، ومن أبرز مبادئ "سبيتر" اللغوية الحدسية⁽⁸⁾:

⁶ . نقلاً عن نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج.1، ص.74

⁷ . المرجع نفسه، ص. 78

⁸ . المرجع نفسه، ص. ص. 80، 81

. معالجة النص تكشف عن شخصية مؤلفه.

. الأسلوب انعطاف شخصي عن الاستعمال المألوف للغة.

. فكر الكاتب لحمة في تماسك النص.

. التعاطف مع النص ضروري للدخول إلى عالمه الحميم.

ومن هنا . وكما يرى حمادي صمود . فإنّ الأسلوبية النفسية أو أسلوبية الفرد تيار حاسم في تأسيس

أسلوبية أدبية تتخذ من النص الراقي موضوعاً، وتنفذ من بنيته اللغوية وملاحمه الأسلوبية إلى باطن صاحبه، لذلك

فهو منعرج حاد قياساً بالأسلوبية في بداياتها مع "بالي"⁹.

⁹ - حمادي صمود، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، ص. 102